

ووقفنا في مكان خلوى رحيب لا خوف فيه من أن ندوس طفلاً أو نصطدم بشيء، فقلت لها بلهجة الجد: «اسمعى من فضلك.. الآن يبدأ الدرس، التدريب الأول.. فاذكرى دائماً أن هذا درس وليس بلعب.. اسمعى الكلام وافهميه واعمل به ولا تحوجينى إلى شد شعرك أو قرص أذنك أو خدك».

وكانت تبتسم حينما شرعت أتكلم، فلما رأتنى جادا لا أضحك ولا يبدو على أنى أمزح، صارت الابتسامة كنور القمر المرتعش على صفحة الغدير الصافي، فرق لها قلبي، ولكنى تحاملت على نفسى وغالبتها وحدثتها — أعنى نفسى — بأن كل شيء خليق أن يفسد إذا لم أظهر الجد.

وقالت بضعف: «إنى مصغية».

قلت: «هذا حسن.. ابتداء طيب.. والآن، ادنى منى.. التصقى بى».

قالت: «لماذا»؟

قلت: «لتنناولى العجلة وتتدربى على إدارتها بالضبط والإحكام الواجبين».

فحاولت أن تتناولها من غير أن تلقى بجسمها على صدرى، وكان هذا متعذراً. وأدركت أنها مترددة، فقلت: «بالطبع ستزهق روحى وتتقصف أضلاعى وتحتبس أنفاسى.. ولكن هذا لا مفر من احتماله».

قالت: «صحيح»؟

فخفت أن تدفعها الرقة والإشفاق علىّ، إلى إيثار العدول فقلت: «إنّ فى قولى هذا بعض المبالغة ولا شك، ولكنى أعنى أنه إذا كان لأحد منا أن يتردد أو يخشى شيئاً.. فإنى أنا الخليق بذلك».

فظننت أنى غضبت أو أنّ ترددها جرح إحساسى وآلمنى، فقالت: «إننى آسفة».

فابتسمت لها صافحا عنها.. وقلت: «تفضلى..» وتناولت كفيها فوضعتهم على العجلة وأنا أسأل الله أن يلهمنى القوة ويرزقنى القدرة على مقاومة هذا الإغراء. وصار كتفها على صدرى، وشعرها على وجهى، وأرجه فى أنفى، وصفحة خدها الغض المشرق تحت عيني.. فلو مططت بوزى قليلا للمسته شفتاى. وسرنا خطوات ترنحت فيها السيارة كأنها سكرى، وأحسب أن لها — أعنى للسيارة — عذرها.. فما لمست عجلتها كف كهذه، رخصة بضة دقيقة.. وكنت أنظر إليها، فأشعر أنى أوشك أن أرتد إلى عصور الاستيحاء، وأحس أنى أريد أن أكلها لفرط حلاوتها، ولم أكن أحس — وهى على صدرى — أن فى بدنها عظاما من فرط الرقة والطراوة. وكان شعرها يدبر رأسى ويسكرنى بعطره الطبيعى. وكانت يدي اليمنى على كتفها، فكنت بجهد أردّها عن ضمها إلىّ.